الانتفاضة والنضال بلا عنف

بقلم :

جين شارب

ترجمة

المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف

The Intifada and Nonviolent Struggle

Arabic

المقدمة

يسر المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف ان يضع بين ايدي القراء هذا الكتيب الذي يحتوي على مقالة«الانتفاضة والنضال بلا عنف» للدكتور جين شارب التي جاءت نتيجة لعدة زيارات قام بها الى فلسطين خلال فترة الانتفاضة .

يشرف الدكتور جين شارب على البرنامج «حول اجراءات اللاعنف في حالات النزاع والدفاع» وهو رئيس مؤسسة«البرت اينشتاين» . هذه المؤسسة التي تكرس اهتمامها في البحث حول الابعاد الكامنة وراء اجراءات اللاعنف لمواجهة العنف السياسي .

وللدكتور جين شارب العديد من المطبوعات حول موضوع كفاح اللاعنف .

وقد نشرت هذه المقالة في مجلة شؤون فلسطينية في اواخر عام ١٩٨٩ . تطرق فيها الى اساليب اللاعنف التي اتبعها الفلسطينيون في انتفاضتهم ضد الاحتلال كما تطرق الى بعض الثغرات التي واكبت الانتفاضة .

المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف .

الانتفاضة والنضال بلا عنف

تميزت الانتفاضة حتى الان بسيطرة طابع اللاعنف على النضال الذي يمارسه الشعب الفلسطيني من الجانب الفلسطيني - ربما بنسبة ٨٥٪ من المقاومة الكلية - مع بعض الانواع من « العنف المحدود » ، مثل رمي الحجارة وقنابل المولوتوف ، ومن حين الى اخر بعنف اكثر شدة . اساليب اللاعنف اخذت عدة اشكال منها الاضرابات التجارية ، المقاطعة الاقتصادية ،اضرابات العمال ، جنازات تظاهرية ، رفع الاعلام الفلسطينية ، استقالة جابي الضرائب وعدة اشكال من عدم التعاون السياسي . تطورالمؤسسات التعليمية ، الاجتماعية ، الاقتصادية والسياسية ذات الاعتماد الذاتي ، كانت ايضا لها اهميتها .

نضال اللاعنف كاستراتيجية :

نضال اللاعنف هو اسلوب ذا طاقة كامنة كبيرة . من المهم تبين ان كل اسلوب نضال-الحرب التقليدية ، حرب العصابات ونضال اللاعنف - له شروط خاصة به حتى يكون فعالا . ويجب الالتزام بهذه الشروط من اجل تحقيق اكبر زخم للاسلوب المختار ، ويجب الاخذ بعين الاعتبار التخطيط الاستراتيجي والتكتيكي للمراحل القادمة من النضال . لذلك فان فهم الطبيعة والاحتياجات الاساسية لنضال اللاعنف هو هام جدا للفلسطينيين اذا ارادو تسيير نشاطاتهم بحكمة .

يجب ان يكون واضحا عند الحديث عن نضال اللاعنف اننا لا نتكلم عن القصور والمسالمة ، وانما عن« حرب اللاعنف » ، والتي بامكانها ان تقود الى العدل والسلام . عن وسيلة لتكييف قوة اسلوب

الذي صمم مقاتلة خصم عنيف ، ذو ارادة ، ومجهز باحدث الات الحرب وبقوة عسكرية ضخمة . يعني انه مصمم على قهر خصوم من الصعب هزيمتهم بواسطة العنف .

نضال اللاعنف هو اسلوب للتحكم بالصراع بواسطة الاستعانة باسلحة سيكولوجية(نفسية)، اجتماعية ،اقتصادية وسياسية . ويشتمل على ثلاثة اساليب للنضال :-

١- الاساليب والاشكال الرمزية للاحتجاج بلا عنف(مثل الاعتصامات ،المسيرات ورفع الاعلام)

٢- عدم التعاون(وهو يتضمن المقاطعة الاجتماعية ، الاقتصادية ، اضرابات العمال ، واشكال متعددة غيرها مثل عدم التعاون السياسي والتي تتراوح من انكارالشرعية الى العصيان المدني والتمرد)

٣- الهجوم اللاعنفي(ويتراوح من الاضرابات عن الطعام الى احتلالات لا عنفية ووضع الحواجز ، واقامة مؤسسات معتمدة على نفسها حتى اقامة حكومة منافسة وموازية للسلطة .

نضال اللاعنف له تاريخ طويل في جميع انحاء الارض ، ومن ضمنها العالم العربي والاسلامي(الامثلة تتضمن عدم التعاون مع الانكليز في مصر في الاعوام ١٩١٩-١٩٢٣، الحركة الباثانية في الاقليم الشمالي الغربي من الهند البريطانية في سنوات ١٩٣٠و١٩٤٠ و مقاومة الدكتاتورية العسكرية في السودان في سنوات ١٩٦٤و١٩٨٧ والمقاطعة العربية للنفط).

نشاطات اللاعنف قد تخفق في بعض الاحيان بغض النظر عن

اسلوب تطبيقها ، ولكنها تمكنت من تحقيق انتصارات كبيرة ،ومهمة ولكننا قلما سمعنا عنها . في بعض النضالات يتم النجاح عن طريق تغيير تفكير ومواقف الخصم ولكن هذا محدود الامكانية وفي اغلب الاحيان يتم التوصل الى نجاح جزئي وحلول وسط من خلال اجراء تسويات(الحصول على اهداف والتخلي عن اخريات) كما في معظم اضرابات العمال .

وقد اظهر نضال اللاعنف فعاليه ارغمت الخصم على القبول بشروط للتسليم لعدم وجود اي مفر اخر سوى القبول بذلك (كارغام رئيس الوزراء صالح جابر على الاستقالة في العراق سنة ١٩٤٨) . احيانا يتداعى حكم الخصم امام الانكار الشعبي وعدم التعاون(كما حصل لحكم الشاه في ايران في شباط من عام ١٩٧٩) .

كما قلت ان لنضال اللاعنف شروطه ليكون فعالا ، وياتي في مقدمتها الصمود والثبات في وجه القمع ، وانتهاج اساليب النضال اللاعنفي وجعلها الاستراتيجية الحكيمة والانجاز الحذر . كلهاشروط لها اهميتها هنا بنفس مقدار شروط الحملات العسكرية .

بما ان نضال اللاعنف يتكيف بطاقة اساسية اذا طبق بشجاعة ومهارة ، فمن غير المستبعد او من المتوقع ان يقابل بقمع جدي من قبل الخصم . هذه الاستجابة هي اعترافا بقوته وليس سببا لتركه .

من المؤكد ان وحشية القمع ضد المقاومين بلا عنف تؤدي «سياسة جوجيستو» الى تصعيد المقاومة ، وتزرع مشاكل في

معسكر الخصم وتجند حزب ثالث لمصلحة المقاومين باسلوب اللاعنف .

لما كان لأشكال النضال المختلفة شروطها المميزة لتكون فعالة ، فانه من الصعب الخلط بين الاساليب المستعملة في كل حالة بشكل مرضي .فعلى سبيل المثال ، لو انه قدر ل(١٥٪) في مقدمة الجيش اثناء حرب تقليدية ، عدم استخدام الاسلحة ، ولكنهم بدلا من ذلك حملوا الشعارات واللافتات المعارضة ضد العدو ، فأن هذا التصرف سيضعف وبشدة من فعاليتهم العسكرية .

بالمثل لو انه في النضال بلا عنف ،١٥٪ من مجموع المقاومين قرروا عدم الأستمرار بالمقاومة في اساليب اللاّعنف وايضاً عدم التقيد بشروطها للصمود والنظام ، ولكن بدلا ذلك استخدموا البنادق والقنابل ،فأن كارثة ستصيب قضيتهم .

لذا ، فمن أجل ضمان نتائج افضل فأنه من الضروري التقيد بشروط اللاّعنف في النضال كما هو الحال بالنسبة للحرب التقليدية او حرب العصابات . وهذا الفهم لنضال اللاّعنف يمكننا ان نجد له علاقة كبيرة بالأنتفاضة الفلسطينية .

الانتفاضة والاهداف الفلسطينية

قبل الخوض في هذا الموضوع ، لا بد من تبيان حقيقتين اساسيتين :-

اولا : اليهود الذين بحثوا طويلا عن موطن وملجأ يلوذون اليه هرباً من الأضطهاد وما هو أسوأ ، لن يحزموا امتعتهم ويعودوا الى البلاد التي عاش فيها أجدادهم . وحسب انطباعي فأن معظم الفلسطينيين يعرفون هذا ولا يطالبون به انهم مستعدون للعيش بسلام في دولة فلسطينية مستقلة بجانب دولة اسرائيلية مستقلة .

ثانيا : ان الفلسطينيين ايضاً لن يرحلوا . فهم يريدون دولة على أرضهم ليستطيعوا العيش بسلام وطمأنينة ، وليس كلاجئين او كطبقة ادنى في ظل الحكم الأسرائيلي . فالفلسطينيون سيستمرون بانتفاضتهم مهما طال الزمن الى ان يحصلوا على الاستقلال والاحترام كالذي يتمتع به الاسرائيليون والسؤال هو : كيف سيقودوا الانتفاضة على الوجه الاكمل ليحققوا هدفهم بدولة فلسطينية مستقلة الى جانب الدولة الاسرائيلية؟ من اجل تحقيق هذا الهدف الاسمى فأنه يتوجب على الفلسطينيين في هذه المرحلة من الانتفاضة تحقيق ستة اهداف استراتيجية في الاشهر القادمة وهي :

١)ان يستمروا بتطوير مؤسسات موازية-
اجتماعية ،اقتصادية وسياسية«البناء التحتي» في المناطق المحتلة ، ساعين الى انشاء حكومة داخلية موازية ، قادرة على أدارة مجتمع فلسطيني رغم وجود القوات الاسرائيلية - وبكلمات اخرى ،، مؤسسات موازية تؤدي الى استقلال حقيقي .

٢) ان يستمروا بتنيظيم مقاومتهم على نهج اللاعنف في المناطق حتى يصبح من الصعب على المحتلين فرض السيطرة على الشعب وحكمه . ويمكن تحقيق ذلك بواسطة الاستمرار بتطبيق الاشكال المختلفة من الاحتجاج بلا عنف ، مثل : عدم التعاون ، التوسط ،التوسع وامتدادهم على الرغم من قمع المحتل حدوته .

٣) ان يعملوا على ايقاع الفرقة ، وابراز التناقضات في الرأي العام الاسرائيلي حول موضوع استمرار الاحتلال والقمع ، والرغبة في تبني دولة فلسطينية مستقلة الى جانب دولة اسرائيل . وهذا يتضمن ايجاد سبل للتعاون مع مستوطنين متطرفين .

٤) ان يساهموا في ابراز الخلافات داخل المؤسسات السياسيه الأسرائليه وذلك بتشجيع المعارضه لسياسات الأحتلال الحاليه والداعيه لقبول دوله فلسطينيه مستقله . هذا بالضروره من شانه ان يساهم في اضعاف الثقه بالجيش الأسرائيلي وبقياده القمع . وبوجود الأختلافات السياسيه الحاده وعدم الثقه بالقوه العسكريه في الأراضي المحتله . وهذا من شانه الضغط على الحكومه الأسرائليه للتأقلم مع الحقيقه الجديده .

٥) ان يساهموا في التفرقه الجزئيه بين حكومتي اسرائيل والولايات المتحده فيما يتعلق بموضوع «القضيه الفلسطينيه » .

٦) العمل على تشجيع الرأي العام العالمي والجهود الدبلوماسيه الدوليه للأسهام في تسويه الصراع والمساعده على الأعتراف بالأستقلأل الفلسطيني .

مهما يكن من امر فقد اتضح انه اذا ما اردنا انجاز الحل المرضي والمشرف بالأساليب الدبلوماسيه فانه وفي البدايه لا بد من انجاز الأهداف الأستراتيجيه الخمس الأولى .

واذا ما اردنا عمل ترتيب للنقاط السابقه حسب الأهميه فان

البندين الأول والثاني اللذين يركزان بشكل خاص على نشاط الفلسطينيين ، يأتيا في المقدمه . اما الثالث والرابع ، اللذان يركزان على اجراء تفاعلات داخل اسرائيل لصالح القضيه يليهما في الاهمية .اما الخامس والسادس ، واللذان يتعلقان بالتجاوب العالمي فانهما مهمان ولكنهما لا يعبران عن طموحات مستقلة بذاتهما . لان انجازهما يتاثر تاثيرا مباشرا ويعتمد على الجهود المنجزة من خلال الاهداف الاربعة الاولى . وخاصة الهدفين(الاول والثاني).

«العنف المحدود» عنصر الانتفاضة

مع الاخذ بعين الاعتبار غياب التحضير لنضال لاعنف منظم بوجود قسوة القمع الاسرائيلي الذي ياخذ عدة اشكال : الضرب ، اطلاق النار ، القتل ، التنكيل بالبيوت ، اقتلاع الاشجار ، الابعاد وتمديد الاعتقال دون محاكمة ... الخ ، فان الفلسطينيين خلال الانتفاضة قد اظهروا انضباط نفسي مدهش وذلك للابقاء على تعليمات محددة من قبل منظمة التحرير الفلسطينية والقيادة الموحدة في المناطق التي حددت عدم استخدام الاسلحة النارية . وقد تم احترام هذا الامر الا في بعض الاستثناءات . فقد بلغت نسبة اللجوء الى اساليب العنف حوالي ١٥٪ فقط . اتخذ ذلك العنف شكلا معتدلا حيث جاء على شكل رجم الحجارة! فالفلسطينيون يرون ان رمي الحجارة هو احد الاشكال للتعبير عن تحديهم وغضبهم على الظلم والمعاناة التي احتملوها طوال سنوات الاحتلال الماضية . واذا ما اجريت مقارنة بين اطلاق النار والضرب الذي تنتهجه اسرائيل فان نشاطية رمي الحجارة تعتبر محدودة جدا . الا انه من المهم الاشارة هنا الى ان الحجارة ليست رمزية فقط كما قصدها الفلسطينيون ، فهناك حجارة ذات احجام كبيرة وقنابل مولوتوف تم

قذفها ايضا- ادت الى وفاة- اسرائيليين، رغم محدودية هذا الاستعمال.

لقد كان متوقعا ان رمي الحجارة سيؤدي الى اصابات عالية في الجانب الفلسطيني وهذا ما حصل بالفعل. وعلى الرغم من ان ضحايا الفلسطينيين تراوحو بين الاطفال والرجال والنساء والشيوخ فان معظم الذين سقطوا واصيبوا باصابات خطيرة هم من قاذفي الحجارة، خاصة الاصابات بين الشباب.

لقد كان من الصعب ان اجد تبريرا فلسطينيا لهذا الثمن الباهظ بالنسبة لفعالية الاداة ضمن هذا الشكل من النشاط. وانني ارى انه رغم قلة الخطر الذي تشكله الحجارة المقذوفة على الجنود الاسرائيليين الا انها تسبب ردة فعل عكسية بالنسبة للاهداف الاستراتيجية المذكورة سابقا(المتعلقة بالراي العام الاسرائيلي، الوضع السياسي والحالة المعنوية للجيش). فمن المستبعد ان يفهم الاسرائيليون ان رمي الحجارة هو تعبير لاعنفي عن الغضب وصرخة من اجل العدل. بل بالعكس فانهم يرون او يفسرون ان الحجارة تشكل تهديدا لحياة اليهود وذلك باسترجاع ذكريات اضطهادات سابقة، القتل، والكارثة وبذلك تؤدي الى استجابات متفاوتة وغير منطقية. وبرايي ان في ذهن الاسرائيليون، وبسبب الحجارة وقنابل المولوتوف والقتل، اصبحت الانتفاضة محاولة جديدة لقتل اليهود، وان هدف العرب الحقيقي هو رمي اليهود في البحر. هذه المدارك الاحساسية تحول دون ايصال الرسالة الى الاسرائيليين، وتساعد على زيادة الدعم الاسرائيلي للقمع الوحشي، وتحفز الجنود على تنفيذ (او تجاوز)الاوامر بالضرب او اطلاق النار.

كثير من الزخم العالمي للانتفاضة استمد من التباين بين الاعمال المحدودة للحجارة من قبل الفلسطينيين والضرب واطلاق النار من قبل الاسرائيليين . يظهر جليا من اين ياتي العنف الاشد خطرا عن طريق معرفة نسبة الاموات الاسرئيليين الى الفلسطينيين . وهذا الحديث يعني ان نسبية اللاعنف من قبل الفلسطينيين هي الاكثر فعالية في تحصيل الانجازات لغاية الان . براي المراقب الخارجي ، يبدو واضحا في هذه المرحلة المتقدمة من الصراع ، ان الفلسطينيين سيكونون اكثر تاثيرا اذا استبدلوا استعمال الحجارة وقنابل المولوتوف - بما في ذلك أعمال القتل المتعمد - بانواع تحدي اخرى من نضالات اللاعنف . لكن لسؤ الحظ ، فان هناك بوادر تدل على ان المد يسير في الاتجاه المعاكس .

مخاطر التفاقم الحالية

في اخر رحلة قمت بها الى اسرائيل والمناطق المحتلة خلال الصيف عام ١٩٨٩ تبين لي ان التوجه الى العنف يزداد عند الطرفين . فقد اظهرت نتائج استطلاع راي حديثة في الجانب الاسرائيلي ان الشباب في المدارس الثانوية والجامعات اصبحوا اكثر عداوة للعرب منذ بداية الانتفاضة . يوجد خوف وكره للعرب اكثر بكثير مما كان عليه بالسابق . واراء الشباب في هذا الموضوع متطرفة اكثر من اراء الكبار ، ولكن معظم الاسرائيليين ينظرون الى الانتفاضة كمشكلة امن وكثيرون منهم يعتقدون ان الاسلوب الوحيد لوقفها يكون بتشديد القمع .

اما على المستوى السياسي ، فحركات السلام ، ومن ضمنها

السلام الان ، فانهم يظهرون في وضع ضعيف وغير مستقر(مع ان بعض الاسرائيليين يتحدون هذا الراي) . حزب العمل متذبذب وغير موحد لا يرغب او لا يستطيع ان ياخذ على عاتقه موقف اقوى خاص بموضوع الارض مقابل السلام ، وهذا التذبذب افقده دعم شعبي هام ،وكثير من مؤيدي حزب العمل ينادون باستعمال العنف .

في المقابل يبدو ان حزب الليكود اصبح اكثر تطرفا من ذي قبل ، الامرالذي تثبته الشروط القاسية التي فرضتهااللجنة المركزية لليكود على خطة رئيس الوزراء شامير ، والمتعلقة بالانتخابات في المناطق المحتلة ،والتي هي بالاصل محدودة .

على هذا الاساس ، كثير من الاسرائيليين يقذفون حجارة او يدمرون سيارات الفلسطينيين (كما قذف الفلسطينييون الحجارة على سيارات الاسرائيليين) . فبعد ماساة الباص في السادس من تموز التي وقعت قرب القدس على يد فلسطيني من غزة حيث قتل خمسة عشر اسرائيلي وامريكي واحد ، فقد هدد او هوجم بعض الفلسطينيين من قبل اليهود في القدس الغربية . بالرغم من ان الشرطة الاسرائيلية اتخذت اجراءات سريعة ولكن الاستبداد واضح . لقد استمر المستوطنون المتطرفون بهجماتهم العدائية على الفلسطينيين وقراهم بالضفة الغربية ووسعوا من جولات السير على الاقدام والمحروسة بكثافة لتاكيد«حقهم» بالذهاب الى حيث يرغبون .

كما تنمو المنظمات السرية التي تقوم باعمال العنف ضد الفلسطينيين (والان حتى ضد اسرائيليين يختلفون معهم بالراي) .

واصدرت مؤخرا مجموعة سرية تدعى «دوف» منشورات تعطي تعليمات عن كيفية استعمال اسلحة بحيث تطلق الرصاصات دون ترك اي اثر . من الممكن ان يظهر من خلال فحص « بالتيسك» (معرفة حركة المقذوفات) .

في نفس الوقت فان هناك تزايد متواضع ومحدود في عدد المعارضين ذوي الضمير الحي(مع احتمال وجود الالاف الذين وجدوا ترتيبات غير رسمية لعدم الخدمة في المناطق) في العسكرية . كما تجد المتحفظون الذين اصبحو اكثر رغبة باطلاق النار على الفلسطينيين . لقد كان هناك وحشية واضحة بين الجنود اثناء قيامهم بوظائفهم . واخبرت ان الجنود في اول جولة لهم في المناطق كثيرا ما يكونون غير راغبين باستعمال العنف ضد الفلسطينيين ، لكنهم في الجولة الثانية ، وبعد التعرض للبصق والحجارة ، فان الجنود يكونون راغبين بضرب الفلسطينيين ، وفي الجولة الثالثة ،حسب التقارير ،فان الجنود يبحثون عن احد لقتله .

من الجانب الفلسطيني ، فان غياب مكسب محسوس من الانتفاضة والمبادرة السلمية الفلسطينية ، ادى الى تعمق الكبت الذي اظهر علامات ضغوط متزايدة لعنف اشد . اخبرت من قبل الفلسطينيين ان رمي الحجارة اصبح مملا . كان هناك عدة هجمات على ارواح الاسرائيليين من المدنيين والعسكريين ، واستعمال السكاكين احيانا ومؤخرا الاسلحة - بدون ذكر الهجمات على الباصات مع وجود خسائر في الارواح وذلك قرب اريحا والقدس . كانت هناك نداءات تدعو الى استعمال العنف بالمنشورات الصادرة عن القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة ، وذلك بداية من المنشور رقم(٤٠) في ايار ١٩٨٩ بالرغم من ان احداها سحب والاشارة للقتل

اخرست ، ولكن الاستعداد لعنف مقصود ضد الاسرائيليين ما يزال موجودا .

في هذه الاثناء ، هناك ازدياد حاد في قتل العملاء وامتعاونين الفلسطينيين المشكوك فيهم؟ في السابق ، كان التاكيد على التعامل مع هؤلاء الافراد؟ بواسطة تطبيق الضغوط الاجتماعية ، الاعذارالعامة ، والمقاطعات الاجتماعية . في كثير من الاحيان يمكن ان يكون هذا القتل ذا دوافع داخلية : حسب بعض التقارير الاسرائيلية فان بعض القتلى لم يكونوا عملاء ، ويشك ان الوضع يحث عليه من قبل عداءات شخصية وايضا من قبل المخابرات الاسرائيلية . نمو هذا النوع من العنف داخل المجموعة ذكر كعامل هام في انهيار الثورة الفلسطينية سنة١٩٣٦ - ١٩٣٩ - وايضا كخليط من اساليب العنف واللاعنف .

الحاجة الى مدخل جديد :

الوضع الحالي خطير جدا وغير مستقر ، واذا استمرت الميول المذكورة اعلاه سيتفاقم الوضع بالنسبة لعنف المستوطنين والمجموعات الارهابية اليهودية من ناحية والفلسطينيين من الناحية الاخرى ، من السهل ان يؤدي إلى وضع يمكن مقارنته ، او اسوا من الوضع القائم في لبنان . مما سيؤدي الى كارثه طويله الأمد حيث ، سيندم عليها الجميع عدا مقترفي العنف ، والتى ستجعل محبي السلام من الفلسطينين والأسرائيلين ينظرون الى الوراء متمنين عوده الأشهر الثمانيه عشر الأولى من الأنتفاضه .

الشئ الذي لا جدال حوله هو ان عتبه العنف قد انخفضت من قبل الطرفين ، والوضع لا يمكن ان يستمر على نمط الاشهر السابقه ، لكنه سيتغير . والسؤال المطروح هو : هل يمكن ان يكون هناك تاثير واعي على اتجاه التغير ؟ الوضع الراهن ، بالأضافه الى ازدياد مخاطر عنف اشد ، لن يقدم بالقضيه الفلسطينيه . حتى صوره « داود وجوليات » والتى كانت سابقا قويه على الشاشات العربيه لم تعد موجودة . التعبيرالشديد عن الألآم والغضب ليس بما فيه الكفايه اذا كان المطلوب من النضال ما هو اكثر من التعبير عن المشاعر . لكى يكون التصرف استراتيجيا حكيما ، يجب ان يساهم بتحصيل اهداف الصراع .

الأضراب التجاري فانه يعكس التعبير عن المشاعر اكثر مما يسهم بتحقيق الأستقلأل الفلسطيني . وما يدعوللسخريه ، ان هذا العمل - كما كرر الأسرائيليون مرارا - قد يضر قليلا او حتى لا يضر شيئا في الأقتصادالأسرائيلي ولا يمكن ان يؤدي الى تغير سياسه الحكومه . (مقاطعه البضائع الأسرائيليه امر مختلف). وان المتضررون من ذلك هم التجار ورجال الأعمال الفلسطينيون ، بما في ذلك الموظفون الفلسطينيون (والذي بالأغلب فقراء) والذين يتم توظيفهم الان ، اما لساعات محدوده او يظلون عاطلين عن العمل . وهذه العوامل قد بدات تؤدي الى التسيب وعدم الأنضباط حيث ازدادت ساعات العمل قليلا في الأضرابات التجاريه . وهذا من شانه ان يؤدى عاجلا او اجلا الى انهيار اساسي للعمود المركزي للأنتفاضه .

باختصار ، اذا اراد الفلسطينيون التقدم بهدفهم الأساسي للأنتفاضه - وهو انهاء الأحتلال- الأسرائيلي- فبرايي هناك حاجه ماسه الى التحول بالأستراتيجيه .

ذلك التحول يجب ان يعلن عنه ويبادر به بطريقه دراميه ، ويجب ان يشمل بيان واضح على الأستراتيجيه الجديدة ، واتجاه الانتفاضة . ويفضل اعلان هذا التغير علنا الى الجميع - الفلسطينيون ، الاسرائيليون ، والشعوب العربيه الأخرى ، والعالم اجمع . يجب ان يتم دراسه التحول بالأستراتيجيه جيدا حتى يزيد الأعلان من قوته وليس العكس .

احدى الأقتراحات كانت مبادره اضراب عام عن الطعام . لقد كان الأضراب عن الطعام من قبل الطلاب الصينين في حزيران من عام ١٩٨٩ هو المؤتمر الأيجابي والدراماتيكي على الصين والعالم اجمع ، يستطيع الفلسطينيون بفهمهم الأفضل للنضال بلا عنف القيام بذلك بفعاليه اكبر . هذا يمكن ان يكون ، كما حدث في الصين ، صيام تقوم به اعداد كبيره من الجماهير . او من قبل قاده فلسطينيين مهمين جدا- مسلمون ، مسيحيون ، سياسيون ، اجتماعيون ، تربويون وآخرون غيرهم . وكما قيل لي فان هناك تجربه فلسطينيه واسعه في مزاوله الأضراب عن الطعام حيث ان الفكره مالوفه لديهم ويمكن ان تقابل بتجاوب ايجابي .

لاحداث زخم هام وحتى لا تتسبب بوفيات ، يمكن ان يدعى الى صيام مطول ولكن محدود ، مثل ٢١ يوم . من الممكن تفصيل حيثياته بالأعلان عن فتره الصيام انها للتطهير ، الألتزام ، والتحضير للمرحله الأساسيه الثانيه من الأنتفاضه ، والتي يجب ان تبنى على المكاسب الأيجابيه للمرحله الأولى وتتخطاها .

المرحله الجديده ستكون بالتحديد باسلوب اللاعنف ، ويمكن القول ان الفلسطينين اقوياء بما فيه الكفايه للأستغناء عن الحجاره . المرحله الجديده ستشدد على بناء المؤسسات وبناء الأعتماد الذاتي لفلسطين مستقله ، مع الهدف للعيش بسلام جنبا الى جنب مع اسرائيل مستقله .

لن تقذف حجاره اثناء الصيام . وبدلا من ذلك يمكن ان تقام مراسيم دينيه في الجوامع والكنائس او الأماكن العامه . لكن يمكن عرض بعض الأشارات او الألوان الخاصه في كل مكان . ومن الممكن ايضا رفع العلم الفلسطيني او عدم رفعه . يمكن ان يفرض منع تجول فلسطيني ارادي لأظهار نيه السلام وجديه العمل في الأشهر القادمه . لن يكون التركيز على مظاهرات عامه . وانما على تحول هادئ منظم الى العمل على بناء المؤسسات وتطور الأعتماد على الذات .

هناك بعض الفلسطينين متشككين جدا حول مصداقيه النضال بلا عنف ، وهناك آخرون يعتقدون ان لها ميزات عاليه . فعلى سبيل المثال ، احد القاده الفلسطينين قال : « بانتهاجنا اسلوب نضال اللاعنف والحدود التى وضعناها للعنف ، فقد حايدنا القنبله الذريه ، وسلاح الجو ، والدبابات وحتى المدافع الالية ، والان علينا العمل على محايدة البنادق » . لقد علل ان استعمال البنادق ضد مقاومين وبالتحديد بلا عنف ، ستكون له نتائج مضادة وبالتالي فان الاسرائيليين سيقل استخدامهم للاسلحة بشكل تدريجي وفي حالة استخدامهم لهذه الاسلحة فان الرد العالمي سيكون كبير جدا .

ومن المؤكد بعد انتهاء الاضراب عن الطعام ان الشباب الفلسطيني الذي توقف عن رمي الحجارة لن يستطيع وبكل سهولة ان لا يفعل شيئا . هناك حاجة الى نشاط بديل . نشاطات استعملت في السابق تضمنت التصفير او العويل اثناءالليل ، وخصوصا في الشوارع المظلمة ، كما حصل في الخليل ولمرة واحدة في القدس الشرقية . وهناك شكل اخر يمكن القيام به وذلك بجعل الشباب يقفون بسلام حاملين اعلام فلسطينية صغيرة وايديهم اليمنى ممدودة بحركة صداقة . وهناك وبدون شك خيارات واشكال اخرى يمكن القيام بها .

مضمون المرحلة الثانية من الانتفاضة يجب ان يتم التخطيط له بعناية واتقان ، واحد الاقتراحات التي يمكن ان يكون على جدول الاعمال هو التركيز على بناء وقيادة نظام تعليمي ينظمه ويشرف على ادارته الفلسطينيون انفسهم . ومهما تكن الشرعية التي تستبقيها الفكرة على ضوء اعادة فتح المدارس من قبل الاسرائيليين ، فانها توضح الحاجة الاستراتيجية لعدم التعاون مع السلطة المحتلة بالاضافة الى انشاء مؤسسات تعتمد على ذاتها وفي مثل هذه المرحلة فانه يفضل ان يشترك اقل عدد ممكن من افراد المجتمع في هذه النشاطات . اذ ان تركيز الجهد سيسمح للقسم الباقي من السكان الذين ليس لهم علاقة مباشرة مع هذا المشروع المعين ، ان يرتاحوا ويكملوا نشاطاتهم الاجتماعية والاقتصادية في الوقت المناسب وحين يطلب منهم في عنفوان المقاومة .

حسب هذه الاستراتيجية يمكن الغاء الاضرابات التجارية وهذا من شانه اتاحة الفرصة للتجار وموظفيهم استعادة اقتصادهم وهكذا يتمكنوا من الاستمرار كجزء هام من المجتمع والانتفاضة الفلسطينية . هذا لا يمنع اللجوءالى الاضرابات التجارية واغلاق

المحلات التجارية على اساس رمزي قصير الامد للتعبير عن اراء جدية او حداد في حالة حدوث مجازر كبيرة، ولكنه سيوزع المسؤولية وتمتد المقاومة على نطاق اوسع داخل المجتمع الفلسطيني، وبنفس الوقت يمكن المجموعات المهنية من القيام بدورها لاهداف خاصة واوقات معينة بدلا من الاستمرار. وحتى في المستقبل يجب متابعة اي عمل بدقة على اساس كفاءته ونتائجه المرجوة بالنسبة للاستراتيجية العامة.

لا شئ مما ذكر يمنع مقاطعة البضائع الاسرائيلية او تحديد عدد العمال العاملين في الشركات الاسرائيلية رغم انه يفضل دراسة الموضوع الاخير بدقة من حيث طبيعة العمل المقصود ودور العمل(او منعه) في تطوير او اضعاف المقاومة الفلسطينية او السياسة الاسرائيلية.

استراتيجية النضال بلا عنف وزيادة اعتماد الفلسطينيين على قدراتهم الذاتية سيقابل وبالتاكيد بردود فعل سلبية من قبل الاسرائيليين، والتعبير بوسائل اللاعنف يمكن ان يقابل في البداية بعملية قمع زائدة، وهذا يؤكد ان تهديد هذا النوع من النضال على استمرار الاحتلال اكبر من تاثير الحجارة نفسها.

بالرغم من البيانات الاسرائيلية المتكررة ضد العنف الفلسطيني فان هناك عدة اشارات على إن المسؤولين الاسرائيليين يفضلون التعامل مع العنف الفلسطيني على التعامل مع النضال بلا عنف. ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان الشخص الداعي الى استعمال النضال بلا عنف وهو بالتحديد - مبارك عوض - قد تم ابعاده كما رفضت

اسرائيل مؤخرا منح تاشيرات خروج الى فلسطينيين كانا يرغبان بالاشتراك باعمال بمؤتمر في كندا . كان من المقرر ان يتحدث عن «اللاعنف » (وحسبما فهمت انهم اخبروا انه لو كان موضوع حديثهم مختلفا لسمح لهم بحضور المؤتمر) .

يوجد هناك عدة تقارير تبرهن على ان الاسرائيليين يتخذوا اجراءات استفزازية لحث الفلسطينيين على العنف المتزايد - من الممكن ان يكون هذا سببا كافيا لكي يبذل الفلسطينييون جهدا اكبر لئلا يمكنوهم من استفزازهم عملا بمبدا نابليون الاستراتيجي : « لا تعمل ابدا ما يريده عدوك ان تعمله فقط لانه يريد ذلك » .

وبتحويل كامل النضال الفلسطيني الى نضال بلا عنف ، عندها سيتمكن الفلسطينيون من ازالة التبرير للقمع الاسرائيلي وزيادة قوتهم الحقيقية والنسبية في الصراع . والاستراتيجية الجديدة سترفع من معنويات وامل الفلسطينيين . وستجعل من الممكن للاسرائيليون المتعاطفون مع الفلسطينيين ان يعارضوا سياسة حكومتهم القمعية ويدعموا حق الفلسطينيين بالاستقلال .

من المحتمل ان تبعث هذه الاستراتيجية الجديدة على خوف وغضب (وبالتالي العنف) اقل . وعلى العكس من ذلك ، فانها ستلاقي تجاوبا من صفات انسانية اخرى والتي اظهرها اليهود في مواقف متعددة ويؤكدون انهم يؤمنون بها .

هذه المرحلة الجديدة من المقاومة والتي ستبدا بالصيام لفترة

طويلة . سيعيد القضية الفلسطينية مجددا الى شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد العالمية . والتحول الكامل الى النضال بلا عنف سيجعل دعم الاستقلال الفلسطيني ممكنا اكثر في اوروبا الغربية والولايات المتحدة .

تغيرات اخرى ستحدث ايضا اثناء التحول الى النضال بلا عنف . اللجان الشعبية التي تسعى للحصول على حاجات المجتمع الفلسطيني ستستمر بتطوير مجتمع فلسطيني معتمد على ذاته . بنفس الوقت سيزداد رفض الفلسطينييون للاذعان والتعاون مع الاحتلال الاسرائيلي . وكذلك العصيان المدني الجماعي (الذي سماه احد القادة الفلسطينيون ب «العصيان القومي») . والنتيجة هي ان الفلسطينيين سيحكمون انفسهم ولن يحكموا من قبل الحكومة المحتلة ، بغض النظر عن التطور الاسرائيلي والعالمي . باتحاد القوة والاعتماد الكلي على النضال بلا عنف ، فان استقلال فلسطيني - معترف به من قبل اسرائيل والعالم - لا يمكن ان ينكر .

جين شارب هو مدير برنامج العقوبات اللاعنفية في مركز العلاقات الدولية في جامعة هارفارد ورئيس مؤسسة البرت اينشتاين - وهي مؤسسة كرست لابحاث عن امكانية النضال بلا عنف . انه مؤلف «سياسة النشاطات اللاعنفية» (بوسطن : بورتر سارجنت ١٩٧٣) و«المقاومة بلا عنف » (القدس : المركز الفلسطيني للدراسات اللاعنف ١٩٨٦).

منشورات المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف .
ص .ب ٢٠٩٩٩
القدس ٩١٢٠٢
تلفون ٢٨٥٠٦١ - ٠٢
عمارة النزهة - الطابق الثالث - رقم ٣

السعر : نصف دينار اردني او ما يعادله.